Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

هذه الحال نظام مستندات لغوي) لـم يتصور الأثر من أجله، إلاّ أنهـا خيانـة خلاقـة لأنهـا تعطي الأثر واقعاً جديداً إذ تتيح له إمكانية تبادل أدبي جديد مع جمهور أوسع ولأنها تغنيـه كذلك ليس فقط ببقاء بل وبوجود ثان أيضاً(1). ويمكن القـول، عملياً، إن الأدب القديـم والأدب الوسيط كله لا يحيا بالنسبة إلينا إلا بواسطة خيانـة خلاقـة تعـود أصولهـا إلى القـرن السادس عشر إلا أنها تجددت مرات عديدة منذ ذلك الحين.

وخير مثالين على الخيانات الخلاقة هما «رحلات غوليفر» لسـويفت، و«روبنسـون كروزوي» لدي فو. الكتاب الأول مـن هذيـن هـو في الأصـل نقـد لاذع ذو فلسـفة يبلـغ سوادها مبلغاً تصنع معه جان بول سارتر في خط التفاؤل في «المكتبة الوردية». أما الثـاني فهو عظة (ممثلة جداً أحياناً) لتمجيـد الاستعمار الناشـىء. والحالـة هـذه كيـف يحيـا هـذان الكتابان حالياً وكيف يتمتعان بنجاح لـم ينكره أحـد أبداً؟ لقـد حـدث ذلـك بنقلهمـا إلى نطاق الأدب الطفولي لقد صارا يقدمان كهدايا في رأس السنة. أما دي فـو فقـد سـخر مـن ذلك، وأما سويفت فقد غاظه الأمر، غير أن كليهما فوجئـا أشـد الـمفاجأة. فـالأمر كـان أبعد ما يكون عن غايتهما. إن هذه الـمغامرات الـمدهشة أو الغريبة جداً التي تشكل جوهر ما يبحث عنه القرّاء الشباب في هذين الكتابين ما كانت بالنسبة إلى الكاتبين إلاّ إطاراً تقنيـاً عادياً، وهو نـوع أدبـي كـان شـائعاً في مجتمعهمـا، تكـون مـن تجميعـات وانتحـالات عـن هكلويت وماندفيل وقصاصي رحلات آخرين. فرسالة هذا النوع من الكتب لا تفهم علـى حقيقتها إلاّ بواسطة تفسير يعجز عنه القارىء الوسط في القرن العشرين، لذلك فهو يكفـي بالشكل الذي (بعد تكييفه) يظل سهل الـمنال بالنسبة إليه في أول عهد الـمراهقة. إن كـل

---

(1) إن الصوريين الـروس دافعـوا عـن وجهـة نظـر مشـابهة في الظـاهر لهـذه. فقـد كتـب ب. توماشفسكي سنة 1928 قال: «إن الأدب الـمترجم يجب أن يدرس إذن كعنصر مكون لأدب كل أمة. فإلى جانب بيرانجه الفرنسي وهاين الالـماني وجد بيرانجه روسي وهاين روسـي سـدا حاجة الأدب الروسي وكانا دون شك بعيدين جـداً عـن سمييهمـا الغربيين» (مدرسـة تـاريخ الأدب الحديثة في روسيا، «مجلة الدراسات السلافية»، الجزء الثامن (1928). ص 226-240). إن هذا الـموقف الـمتطرف ليس موقفنا. فإن برانجـه الفرنسـي وبرانجـه الروسـي يصنعـان معـاً برانجه التاريخي الأدبي الذي كان بالقوة (ولا شعورياً) في أثر برانجه.